

الاعتذار عند الخطأ هو من شيم الكبار



بقلم: السفير عبده هيجي

كتب السيد/ عبدالرحمن الراشد في عموده الاسبوعي في صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ 27/12/2016 مقالا تحت عنوان "السد الاثيوبي بين مصر والسعودية" يدعو فيه الاعلاميين والكتاب المصريين والسعوديين على حدٍ سواء الى التهذئة ووقف التراشق بكلمات مسيئة لا تمت الى الاعلام المسؤول بصلة. وحاول السيد/ الراشد التدخل بقلمه لإصلاح ما في البين بدعوة الأطراف المتراشقة الى الترفع عن التلاسن والقذف بكلمات نابية. لكنه ومع دعوته للتهذئة صبّ هو الآخر الزيت على النار، ووسع دائرة التراشق من حيث يدرى او لا يدرى بإقحام الصومال وارتريا في السجال دون سبب، ودون أي مبرر.

لقد تعرض السيد/عبد الرحمن الراشد الى دولتين جارتين للسعودية، والى شعبين شقيقين لها هما الصومال وارتريا. أساء إليهما في وضح النهار وعلى مسمع الجميع لمجرد أنه أراد تبرير العلاقة السعودية الجديدة مع إثيوبيا. والأسوأ من ذلك، انه وبمجرد أن رأى بلده السعودية يسعى لتوطيد علاقاته بإثيوبيا لأسباب أملتها عليه ظروفه ومصالحه الخاصة، ركب هو الموجة وحاول السباحة عكس التيار، فغرق وأراد ان يغرقنا معه في متاهات لا تحمد عقباها. فبالنسبة له "إثيوبيا دولة مهمة اقتصادياً في أفريقيا، وتعتمد عليها الولايات المتحدة في معالجة عدد من قضاياها العسكرية والسياسية في القارة، حيث نجحت في إحتواء الصومال بالقوة، وقامت بتأديب إريتريا". معنى ذلك أن أهمية إثيوبيا بالنسبة له تكمن في كونها مهمة اقتصاديا، وكونها تنفذ الاستراتيجية الامريكية في المنطقة، وكونها تخوض نزاعاً كبيراً مع مصر حول سد النهضة، وأنها دولة استطاعت أن "تحتوى الصومال" أي أن تحتل الصومال، "وتقوم بتأديب ارتريا" أي أن تحارب ارتريا بكل ما لديها من منطلق التوسع والهيمنة في المنطقة. ولهذا حسب منطق عبدالرحمن الراشد كان على السعودية بناء علاقات متينة ومتميزة مع اثيوبيا طالما أصبحت قوة إقتصادية، وقامت بممالة السياسة الامريكية في أفريقيا، ووقفت في وجه مصر، وعانت الخراب والدمار في الصومال، وحاربت ارتريا ليل نهار. وبذات منطق عبدالرحمن الراشد، يمكننا القول ان إسرائيل ايضا دولة مهمة إقتصاديا وقوية عسكريا، وأنها حليفة لأمريكا، وتعمل كل ما في وسعها على تنفيذ الاستراتيجية الامريكية في المنطقة، واحتوت بالقوة فلسطين، وقامت بتأديب لبنان، لذلك على السعودية إقامة علاقات متميزة واستراتيجية معها. ما هكذا تورد

الإبل يا عبدالرحمن يا ابن الراشد، هذا منطوق أقل ما يمكن القول عنه أنه منطوق مقلوب يتسم بالسطحية والضحالة المفرطة.

يبدو أن منطوق السيد/عبدالرحمن الراشد ينطلق من قناعات معشعشة في قرارة نفسه، ولم يجد مناسبةً للبوح بها إلا في هذا المقال الاستعراضي. ويبدو أيضاً أن لديه معايير وضعها لنفسه فيما يجب ان تقوم عليه علاقات الدول، وأراد عنوة ان يقحم بلده السعودية في هكذا معايير هي في غنى عنها وخاصة في هذا الظرف الحساس والمعقد بالنسبة لها والمنطقة بأسرها. ويبدو أيضاً ان لديه الضبابية في الرؤية، والازدواجية في المعايير، ويعتقد في مكامن نفسه أن بلده كبيرٌ وغني، وعليه بناء علاقات متميزة مع من يعتقد هو أنهم كبارٌ في مناطقهم. ويبدو كذلك انه سوف لا يتردد ليقول لنا يوماً "أنصر القوي ... ظالما او مظلوما" فان في ذلك مكسباً وتفوقاً على الآخر. إن علاقة الدول يا أخي الكريم لا تُبنى على هكذا مقاييس، ولا تقوم على ازدواجية المعايير او على مبدأ "حُكْ ظهري أَحُكْ ظهرك" حيث ان مثل هذه العلاقات لا تدوم، ولا تقوم لها قائمة لأنها محفوفة بالمخاطر، وتؤدي في نهاية المطاف الى كارثة محتومة. علاقات الدول في أبسط معانيها تقوم بغض النظر عن الحجم والقوة والغنى على الاحترام المتبادل أولاً وقبل كل شيء، ثم المصالح المشتركة، وتبادل المنافع، والحفاظ على أمن وسلامة المنطقة المحيطة والعالم. من حق أي دولة أن تبني علاقات متميزة مع من تريد. لكن لا يصح ان تكون هذه العلاقات المتميزة على حساب الدول الاخرى المجاورة والمهمة بمواقعها وتاريخ شعوبها وسيادتها الوطنية. ولا يستقيم يا ابن الراشد ان تدفع ببلادك السعودية الى معاداة الصومال وارتريا إرضاءً لإثيوبيا. ولا يصح ان تهمل وتكبر لإثيوبيا وتبارك لها إحتلالها الصومال، واعتداءاتها المستمرة على ارتريا، تبريرا لسعي بلدك السعودية الى إقامة علاقة متميزة مع اثيوبيا.

إن محاولة تفسيرك لعلاقة بلادك الجديدة مع إثيوبيا بهذه الطريقة وبهكذا أسلوب، هي إساءةٌ لبلدٍ كبيرٍ ومسؤول كالسعودية الذي يتمتع بالاحترام وبثقل سياسي واقتصادي وديني سواءً كان على الصعيد الإقليمي او الدولي. ما تفوهت به يا أخي الكريم هو إساءة أيضاً للسياسة الخارجية السعودية القائمة على مبادئ سامية يعرفها القاصي والداني. أما الصومال الذي باركت إحتلاله من قبل إثيوبيا هو بلدٌ جارٌ للسعودية وهو بلدٌ منكوبٌ ومحتلٌ يعيش حالة من التشرذم والفوضى بسبب إثيوبيا التي تتغنى بها أنت. كما أن ارتريا هي بلدٌ جارٌ للسعودية، وهي تقف الى جانب السعودية في حربها ضد الإرهاب، ومثل الصومال تواجه تحديات جمة بسبب إحتلال أرضها من قبل إثيوبيا وبسبب نزعة التغول والهيمنة المعشعشة في عقول حكام إثيوبيا. ثم مَنْ قال لك أن إثيوبيا أدبت ارتريا. لو تقرأ التاريخ قراءة صحيحة ودقيقة، ستجد أن شعباً لا يتعدى سكانه خمسة ملايين نسمة وهو الشعب الارتري حارب ولثلاثين عاما إثيوبيا التي يصل سكانها 90 مليون نسمة وانتزع حقه المشروع بجداره واقتدار، وألحق بأنظمتها المتعاقبة هزيمة ماحقة، ومازال يقارعها في نزعتها الهادفة الى الهيمنة والتوسع. من حقك يا أخي الكريم ان تتغنى بمن شئت، وتشيد بمن تشاء، ولكن ليس من حقك ان تقحم بلدك السعودية في تراشقات ونزاعات

جديدة مع الصومال او ارتريا او غيرهما من البلدان هي في غنى عنها. يكفي للسعودية ما لها من أعباء وهموم لا يعلم ثقل حجمها إلا الله والقائمون على أمرها. وليس من الحكمة سواءً منك او من غيرك توسيع دائرة العداء عليها، وليس من الفطنة والعقلانية إقحامها في نزاعات جديدة هي لا تريدها او تسعى الى تجنبها او معالجتها إن وجدت بحكمتها المعهودة. أما أوطاننا نحن في ارتريا والصومال يا أخي الكريم، ربما ليست بكبيرة او غنية كالسعودية، لكنها كبيرة في عيوننا وعزيزة علينا، وغنية بقيمها ومبادئها وإعتادها بكرامتها وحبها للذات والآخر. نحن لا نسيئ لأحد، ولا نقبل الإساءة من أحد. كما أننا لا نتبجح على أحد ولا نطأطئ رؤوسنا لأحد مهما كان. وفي هذه السانحة لا نريد أن نسيئ إليك كما أسأت إلينا، ولا نريد ان ندخل معك في سجالات عقيمة لا معنى ولا طائل من ورائها. لكننا، وهذا حق مشروع، نطلب منك أن تعتذر لبلدنا وشعوبنا لأنك تجنيت عليهما. والاعتذار يا أخي الكريم ليس عيباً، بل هو من شيم الكبار ومن يثقون حقاً في أنفسهم ويحترمون الذات والآخر.

2017/1/4